التقابل اللفظي في القرآن الكريم

– دراسة دلالية –

إعداد

أ.م.د يونس عبد مرزوك

كلية الإمام الأعظم

Issn:2071-6028

Issn:2071-6028

المقدمـة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

فقد ارتبطت اللغة بالإنسان أشد ارتباط منذ غابر العصور، فكانت متنفّسَهُ، وكانت القناة التي تمر فيها مقاصده، وعلى هذا استطاع الإنسان أن يعيش داخل بيت اللغة، ويترعرع فيها، بل كانت هي الوجود الرابط بين أمة وأخرى، ولما فطن لذلك وعرف أنه باللغة يستطيع خرق كل الحواجز. صار الاهتمام بها متميزاً ومهما يكن من أمر فإن هذه السمات هي التي فتحت ذراعيها لكل من يريد أن يبحث في اللغة ويستجلي معاني مفرداتها إنْ من العامة وإنْ من الخاصة.

ومن هنا تبوأت اللغة في جميع الأبحاث منزلة متميزةً، فغدت من الأبحاث المعقدة، خاصة على المستوى الدلالي الذي يبحث في معاني المفردات، والتراكيب، وهذا ما عبر عنه جل الباحثين حين أكدوا صعوبة هذا المجال مقارنة بالمجالات الأخرى المعروفة (الصوتي والصرفي والتركيبي)؛ ذلك أن الطبيعة الحقيقية للغة لا تفهم إلا من خلال فهم المعنى.

وحظيت دراسة المعنى باهتمام علوم مختلفة من بينها علوم اللغة العربية، وكانت الدلالة ركيزة عمل أهل اللغة وعقدوا لها أبواباً في كتبهم تناولت موضوعات مثل: دلالة اللفظ، ودلالة المنطوق، ودلالة المفهوم، كما قسموا اللفظ بحسب الظهور والخفاء، والعموم والخصوص، والتخصيص والتقييد، ودرسوا الترادف والاشتراك وغير ذلك(١).

وتأسيساً على ما سبق وجدت نفسي أبحث في هذا المنحى، واخترت موضوع (التقابل اللفظي في القرآن الكريم– دراسة دلالية) نظراً لاهتمام علماء العربية القدامى والمحدثين فهو الأس في تفكيرهم الحضاري المبني على قاعدة الفهم لكتاب الله تعالى، وحاولت في أثنائه أن أبحث في موضوع التقابل اللفظي في القرآن الكريم.

وقد استفاد الباحث من الكثير من المراجع المهمة في هذا المجال يتصدرها طبعاً أمّات الكتب التي شكلت البحث بتماسكها وتشاكلها متمثلة في ابحاث النحاة واللغويين والبلاغيين والنقاد والمعجميين، كما لا يمكن أن أحط من أهمية المراجع الحديثة التي تناولت الموضوع بجدة.

(١) ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر ٢١، وينظر أيضاً: دراسة المعنى عند الأصوليين والبحث الدلالي عند الأصوليين.

Issn:2071-6028

ورتّب البحث بعد هذه المقدمة على تمهيد ومطلبين هما: التقابل اللفظي الحقيقي، التقابل المجازي، وخلص البحث إلى خاتمة ونتائج أجملتها في نهايته، والحمد لله بنعمته تتم الصالحات والله من وراء القصد.

تمهيد

التقابل في النص القرآني يقع بين معانيه كما يقع بين ألفاظه، وهو بين الألفاظ يزيدها لذة وإثارة، وبين المعاني يزيدها قوة ووضوحاً، كما يضفي عليها روعة وجمالاً، فحازم القرطاجني يرى أن ((للنفوس في تقارن المتماثلات وتشافعها والمتشابهات والمتضادات وما جرى مجراها تحريكاً وإيلاعاً بالانفعال إلى مقتضى الكلام لأن تناصر الحسن في المستحسنين المتماثلين والمتشابهين أمكن من النفس موقعاً من سنوح ذلك لها في شيء واحد. وكذلك حال القبح. وما كان أملك للنفس وأمكن منها فهو أشدّ تحريكاً لها. وكذلك أيضاً مثول الحسن إزاء القبيح أو القبيح إزاء الحسن مما يزيد غبطة بالواحد وتخلياً عن الآخر لتبين حال الضد بالمثول إزاء ضده. فلذلك كان موقع المعاني المتقابلات من النفس عجيباً))[١].

إن المشاهد المتقابلة في الصور القرآنية قد تختلف طولاً وقصراً وقد تتساوى فيما بينها، ((والاختلاف بين المشهدين طولاً وقصراً ناشيء عن مراعاة ما يناسب موضوع السورة والسياق الذي يعرضان فيه. فقد يكون الجو السائد في السورة كلها جو الرضا والرحمة واللطف، فيقتضي ذلك أن يكون مشهد النعيم أطول، وقد يكون الجو العام في السورة جو الغضب والشدة، فيكون التطويل في مشهد العذاب أنسب له))[٢].

وقد بلغ القرآن الكريم في هذا الفن– كما في غيره– الذروة في وضع الكلمات الوضع الذي تستحقه في التعبير بحيث تستقر في مكانها المناسب ولم يكتف القرآن الكريم في وضع اللفظة بمراعاة السياق الذي وردت فيه بل راعى جميع المواضع التي وردت فيها اللفظة ونظر إليها نظرة واحدة شاملة في القرآن الكريم كله. فنرى التعبير منسقاً متناسقاً مع غيره من التعبيرات كأنه لوحة فنية واحدة. مكتملة متكاملة))[٣].

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان، ط ١٩٨١، ص: ٤٤–٤٥.

(٢) التناسب البياني في القرآن، أبو زيد أحمد منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٢م، ص: ١٥٧.

(٣) التعبير القرآني، الدكتور فاضل صالح السامرائي دار عمار، ١٤٢٧هـ– ٢٠٠٦م، ص: ٥٣.

Issn:2071-6028

وما نمثل به في هذا المقام، هو تقديم لفظة (الجِّنة) على لفظة (الناس) في سورة الناس، مع أننا نجد العكس في سورة أخرى. وهذا ما بينّه فاضل السامرائي في تفسيره البياني لسورة الناس، إذ يقول: ((وقد تقول: ولم قدم الجنِّة على الناس؟ والجواب أن لهذا التقديم عدة أسباب:

منها أن الجنة هم المعتدون على الناس. وأنهم الأصل في الوسوسة حتى أن الوسواس من أسماء الشيطان.

وقد تكون وسوسة الإنسي للإنسي بسبب وسوسة الشيطان ودفعه.

وقد تقول: ولم إذن قدم في آية أخرى شياطين الإنس على شياطين الجن، فقال ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾(سورة الأنعام: ١١٢).

والجواب: أن المقام في الأنعام يقتضي تقديم شياطين الإنس على شياطين الجن، ذلك أن سياق الآيات في كفرة الإنس ومشركيهم لا في الجن والشياطين ولقد جاء في الآية (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا) والعداوة للأنبياء ومحاربتهم ظاهرة في الإنس. فعداوة الأنبياء أظهر في الإنس منها في الجن. ثم قال (فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ) والإفتراء على الله ظاهر لنا في الإنس فناسب تقديم الإنس على الجن، والله أعلم[١].

بلاغة التقابل اللفظي وجماليته في القرآن الكريم:

لقد كان للتقابل علو شأن ورفعة مكانة عند بلاغيينا القدماء حتى أن أحدهم وصف أهمية المقابلة بقوله: ((فلها شعب خفية وفيها مكامن تغض، وربما التبست بها أشياء لا تتميز إلا للنظر الثاقب والذهن اللطيف))[٢] وكأنه يشير خفية إلى أن بلاغة المقابلة لا تتأتى من تضاد وتعاكس لفظين مجردين من السياق أو البناء اللغوي فحسب وإنما يكون خفاؤها وغموضها عندما تندمج وتلتبس مع قوالب المعاني فتصبح مرتكزاً بنائياً يتكئ عليه النص اللغوي في مكوناته وعلاقاته، فتتولد جمالياتها من اندماجها وإضاءتها للنص اللغوي، مؤدية إلى وضوح دلالات تراكيبه وهنا تبرز بلاغة المقابلة في أجمل صورها.

(١) على طريق التفسير البياني، الدكتور فاضل صالح السامرائي، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م، ٥٣.

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه: القاضي علي عبد العزيز الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، القاهرة- (د.ت): ٤٤.

Issn:2071-6028

إن القيمة الفنية للمقابلة تكمن فيما يحدثه التضاد من أثر متميز في الدلالة على "صور ذهنية ونفسية متعاكسة يوازن فيما بينها عقل القارئ ووجدانه فيتبين ما هو حسن منها ويفصله عن ضده"(١).

إن المقابلة اللفظية في القرآن الكريم استخدمت استخداماً نفسياً في مجالات شتى في الترغيب والترهيب، كالخوف والطمع، والعصيان والطاعة، والأمن والخوف، والإنذار والإبشار، وكلها انعكاسات معان تتمحور في محوري القرآن الكريم الأساسيين: الإيمان والكفر(٢).

وبذلك تكون بلاغة المقابلة وسرها في تداعي المعاني واستثارة الأذهان فما أن يقرأ أو ينطق بأحد المتضادين إلا وقد بدأ العمل الذهني في ذاكرة القارئ أو المتلقي لاستجلاب المتضاد الثاني استجلابه لفظاً ومعنى.

والمقابلة في التركيب القرآني تقتضيه دلالته الجليلة وتتطلبه مواقفه النبيلة، فهو ليس مجرد صنعة بديعية تضفي على الكلام جمالاً وحلاوة فتجعله حسناً مقبولاً، ذلك أن تآلف المتضادين في النسق القرآني يلفت نظر المتلقي إلى فكره الجليل فيستجيب لما تحدثه المقابلة من عظيم أمر في التراكيب القرآنية بأجمعها فضلاً عما تولده المقابلة من دلالات عجيبة ومشاعر سامية ذلك أنه أرفع الكتب مكانة وأغناها علماً.

إن القرآن الكريم في تقابلاته الجمالية "يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية"(٣) والفن والدين صنوان في أعماق النفس وقرارة الحس.

ومن هذا المنطلق فقد كان لهذا النوع من التقابل بلاغاته وجمالياته ذلك أن الضدية الظاهرة بين طرفيه تعد مظهراً بارزاً أمام القارئ وبلاغتها تكمن في المعنى الحقيقي المتخفي وراء المتضادين والتي يستطيع الدارس الحذق أن يكتشفها بقدراته الخاصة.

لقد أفرز التقابل بثنائياته الضدية، إيحاءات متباينة وبما يفرضه الفكر القرآني فلم تكن كثرته مؤدية إلى الرتابة والتكرار خاصة فيما يتعلق بالمقابلة الكونية أو الزمانية كـ (السموات والأرض، الليل والنهار) والتقابل العقدي كـ (الإيمان والكفر، الحق والباطل، الهدى والضلال) ذلك أن هذه الثنائيات الضدية تظهر في كل آية قرآنية بشكل مختلف وبفكر متجدد يفرضه اختلاف السياق القرآني ويدعو إلى تثبيت المتضادين عقيدةً وفكراً ووجداناً.

---

(١) البلاغة والتطبيق: الدكتور أحمد مطلوب، والدكتور كامل حسن البصير، ط١، بغداد– ١٩٨٢م: ٤٤٣.

(٢) ينظر: البلاغة العربية تأصيل وتجديد: مصطفى الصاوي الجويني، الإسكندرية– ١٩٨٥م: ٦٩.

(٣) التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، القاهرة، ١٩٦٦: ١٤١.

Issn:2071-6028

لقد عرض التقابل اللفظي للصور المتناقضة في الكون والحياة والإنسان وفي الماديات والمعنويات وهو إذ يعرض طرفي كل حالة على حدة فإنما غرضه إبانة كل طرف وتوضيحه ثم التفريق بينه وبين الطرف الآخر[١] قال تعالى ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ ﴾(سورة الدخان: ١–٢) قيل في معنى المبين الموضح الذي فرق بين الهدى والضلال.

لقد كان التقابل العقدي المحور الأساس والموضوع الأكثر أهمية بين موضوعات المقابلة القرآنية وبلاغتها إنما تكون في ((وضع الحد الفاصل بين الكفر والشرك من ناحية وبين الإيمان والحق والهدى من ناحية أخرى))[٢].

وعندما يجمع القرآن الكريم بين الإيمان والكفر ومرادفيها الحق والباطل والهدى والضلال، فإن الجامع بين المتضادين مقصود لأنه سبحانه يبين حقيقة الكفر في الكافر وحقيقة الإيمان في المؤمن. وإنما حكمته في الجمع ما بين الضدين التفريق بين الصالح والطالح والثبوت على أحدهما والتشويق الذي يقود القارئ إلى ترجيح أحد الطرفين وتأييده والانتصار له، ذلك أن ((الضد يعرف بضده))[٣].

لقد أثار التقابل اللفظي المشاعر المتناقضة ما بين الرغبة والخوف في عرضه للبشارة وهي بشارة الإسلام والأجر من جراء القيام بالعمل الصالح من قبل المؤمن، ويناقض ذلك الإنذار الموجه إلى من يأبى الأنصياع لدين الحق، ويصر على ارتكاب الآثام ومعصية الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وسلم)، وهو إنذار بسوء العاقبة في حالة استمرار الكفر والطغيان[٤] قال تعالى: ﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ۝٥٦ ﴾(سورة الكهف: ٥٦).

ومن بلاغة المقابلة اللفظية تقديم الصفة على الموصوف وكلاهما يعرض لحالتين متضادتين تنتاب النفس الإنسانية، والتقابل في مضمونه يكون أثراً من آثار قدرة الله عز وجل قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ۝٤٣ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ۝٤٤ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ

(١) ينظر السمات الجمالية في القرآن الكريم من وجهة نظر فنان تشكيلي: رسالة ماجستير قدمها: قيس إبراهيم مصطفى العيكلي، بإشراف: د. محسن عبد الحميد أحمد و أ. أحمد فؤاد العزاوي، كلية الفنون الجميلة– جامعة بغداد ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م، ١٨٩.

(٢) القرآن الكريم واستمرارية إعجازه: محمد علي أبو حمدة، المجلة الثقافية، ع٩، ١٩٨٥م، ١١٥٠.

(٣) البديع تأصيل وتجديد: الدكتور منير سلطان، الإسكندرية– ١٩٧٦م، ١١٨.

(٤) ينظر أدب الترهيب في القرآن الكريم: أحمد محمد علم الدين، مجلة آفاق الثقافة والتراث ع٢٠– ٢١/ ١٩٩٨م: ٦٠.

Issn:2071-6028

﴿ ﴾(سورة النجم: ٤٣-٤٤) فإطلاق الإضحاك والإبكاء والإماتة والإحياء دليل من دلائل قدرته عز وجل في أنه سبحانه موجد لأشياء تفرح وتحزن، وفي تقديم الأوصاف على موصوفها (الذكر والأنثى) إيماء بعظيم صفته عز وجل صفة القدرة الجلالية، كما أن إيقاع الألف المقصورة فيه إيماء لإطلاق الملكية والتصرف لأنه سبحانه الخالق للبشر لحالاتهم النفسية وللأفعال المتضادة الواقعة بهم.

لقد نادى التقابل اللفظي في القرآن الكريم بالتوازن الذي يستقيم معه السلوك الإنساني ودعا إلى طرح المعطيات الخلقية عندما صور رذيلة الغيبة أشنع تصوير في قوله تعالى ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ (سورة الحجرات: ١٢).

ونجده كذلك يمثل نقطة التحول والانتقال من المشكلة إلى الحل عندما يتجاوز الشدة إلى الفرج ويجعل بعد الضيق السعة والرخاء قال تعالى: ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧ ﴾ (سورة الطلاق: ٧) وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ ﴾(سورة الشرح: ٥).

لقد ظهرت جماليات هذا النوع من التقابل عندما عرض الموضوعات، منها التعفف عند الفقراء حين يبدون وكأنهم أغنياء من جراء الحياء وعدم السؤال قال تعالى:﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ (سورة البقرة: ٢٧٣).

ومن جماليات التقابل اللفظي ذلك الذي يصور جمالية الانبساط والانقباض في حركة جمالية رائعة كقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ﴾ (سورة الملك: ١٩) فالطرف الأول في التقابل يوحي بصوتية لفظه إلى عملية بسط الأجنحة بينما يأتي الطرف الثاني (وَيَقْبِضْنَ) ليدل بصوتية لفظه إلى التحرك الطارئ والسريع المشعر بعملية الانقباض[1].

وقبل البدء بالتبحر في جمالية التقابل اللفظي، أقول انقسمت صورة هذا التقابل على صورتين: المطلب الأول (التقابل الحقيقي) والمطلب الثاني (التقابل المجازي) فأبدأ أولاً بـ:

المطلب الأول

التقابل اللفظي الحقيقي

- **المقابلة بين (الحَقُّ والباطِلُ):**

(١) ينظر: جماليات المفردة القرآنية: أحمد ياسوف، ط١، دمشق- ١٩٩٤م، ٢٤٥.

Issn:2071-6028

قال تعالى: ﴿ ۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ١١٧ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٨ ﴾(سورة الأعراف: ١١٧–١١٨).

هذا مشهد من مشاهد غلبة الحق على الباطل الذي ينتعش، ويسحر العيون، ويسترهب القلوب، ويُخيّل إلى الكثيرين أنه غالب وأنه جارف، وأنه مُحيق! وما هو إلا أن يواجه الحق الهادئ الواثق حتى ينفثئ كالفقاعة وينطفئ كشعلة الهشيم! وإذا الحق راجح الوزن، ثابت القواعد عميق الجذور... والتعبير القرآني في الآيتين المباركتين يلقي هذه الظلال، وهو يصور الحق واقعاً ذا ثقل (فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ)... وثبت واستقر... وذهب ماعداه فلم يعد له وجود (وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ).. وغُلِبَ الباطل والمبطلون وذلوا وصغروا وانكمشوا بعد الزهو الذي كان يبهر العيون[١].

ويأتي التقابل القرآني الجامع ما بين المتضادين المختلفين، ليؤيد نصرة النبي موسى عليه السلام والمشار إليه بطرف التقابل الأول (فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ) ولينهزم ويدحر سحرة فرعون المشار إليهم بطرف التقابل الثاني (وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ).

والملاحظ أن الطرف الأول قد سبقه فعل الوقوع الذي زاد (الحق) ثباتاً واستقراراً، ذلك أن الوقوع حقيقة "سقوط الشيء من أعلى إلى الأرض"[٢]، إلا أنه مع طرف التقابل قد دخل مدخل المجاز، فاستعير الوقوع لظهور أمر رفيع القدر، لأن ظهوره كان بتأييد إلهي فشبه بشيء نزل من علو.

ولعل في اختيار لفظ (وقع)، دون (نزل) مراعاة لفعل الإلقاء لأن الشيء "الملقى يقع على الأرض"[٣] فكان وقع العصا على الأرض وظهور الحق مقترنين، والحق: "هو الأمر الثابت الموافي للبرهان"[٤] ولعل مجيئه بالصيغة الاسمية ما يشير إلى دلالة ثبوت الحق ورسوخه وعمقه،والحق هنا أريد به صدق موسى وصحة معجزته وكون ما فعلته العصا هو من صنع الله تعالى، وأثر قدرته[٥].

(١) ينظر في ظلال القرآن: سيد قطب، ط٦، بيروت– ١٩٧٨م، ٣٨/٩.
(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس مادة (وقع)، ١٣٤/٦.
(٣) مقاييس اللغة، ابن فارس مادة (نزل)، ٢٦٠/٥.
(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٥٠/٩.
(٥) ينظر تفسير ابن كثير ٢٣٧/٢.

Issn:2071-6028

وأما الطرف الثاني من التقابل فيتمثل في قوله (وَبَطَلَ) الذي حقيقته ((إضمحل))[١] والمراد: اضمحلال المقصود منه وانتفاء أثر مزعوم لشيء[٢] أي ((يزيل مفعوله وما قصدوه منه، فالباطل هو الذي لا فائدة، ولا خير فيه، ومنه سمي ضد الحق باطلاً لأنه شيء لا يحصل منه الأثر المرجو، وهو المقبول لدى العقول المستقيمة))[٣]، والمراد من فعل البطلان الظهور لا الحدوث، لأن كون ما يعملونه باطلاً وصف ثابت له من قبل أن يلقي موسى عصاه، ولكن عند إلقاء العصا ظهر كونه باطلاً[٤].

ولقد كان لمجيء الطرف الثاني من التقابل المجازي أثر في تحقق كون ما يعمله سحرة فرعون يعد باطلاً لأن ما ظنه الناس وتخيله بأنه حقيقة وصدقاً، انقلب وتحول إلى كذب وباطل عندما ألقى موسى عليه السلام عصاه، وبذلك أبطل التقابل في طرفه الثاني تخيلات الناس في أن عصي السحرة وحبالهم تسعى كالأفاعي، وتجدر الإشارة إلى أن قوله تعالى: (مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ) مشار به إلى ((السحر))[٥] الذي لم يعبّر عنه بذلك اللفظ، ذلك أنه كان سحراً مزيفاً مزوراً مصطنعاً.

- **المقابلة بين (الفَناء والبَقاء):**

قال تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ (سورة النحل: ٩٦).

هذا مثل من أمثال القرآن الكريم فيه تذكار للبشر بأن يتأملوا في عجيب صنع الله تعالى، ذلك أن ما عندهم ولو ملكه فرد منهم فإنه سيؤول إلى الزوال، وما عند الله باق ودائم[٦].

يبتدئ النص المبارك بالاسم الموصول ((الدال على جماعة العقلاء))[٧] والمشار إليه بالظرف المضاف إلى جماعة المخاطبين، ((وهم البشر))[٨]، ذلك الظرف الذي دخله التحديد والتقليل والزوال بدلالة طرفي– التقابل الحكمي– المتضادين (يَنفَدُ وبَاقٍ).

---

(١) لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري، القاهرة – (د.ت)، مادة (بطل) ٢٢٧/١.

(٢) ينظر تفسير ابن كثير ٢٣٧/٢.

(٣) تفسير مجاهد ٢٤٢/١.

(٤) ينظر التحرير والتنوير، ابن عاشور ٥٠/٩.

(٥) مواهب الرحمن، عبد الكريم محمد المدرس ١١٤/٤.

(٦) ينظر في ظلال القرآن، سيد قطب، ٩٦/١٤.

(٧) معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، ط١، بغداد – (د.ت)، ١٤٠/١.

(٨) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي الشوكاني– ١٩٨١م، ١٩٠/٣، صفوة البيان لمعاني القرآن: حسنين محمد مخلوف، بغداد– ١٩٨١م: ٣٥٥.

Issn:2071-6028

لقد جاء الطرف الأول بالصيغة الفعلية التي سمتها التغاير[١] دلالة على أن ما عند البشر من النعمة والصحة والعافية والمال والغنى سيؤول إلى الفناء والزوال يوماً ما، يساند ذلك المعنى ما تعنيه لفظة (يَنفَدُ) في معناها وهو (الفناء)[٢]. وتكتمل هذه الحكمة الإلهية بالطرف الثاني للتقابل الذي تخصص به الله عز وجل والمتمثل بقوله: (وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ) ولقد جاء بالصيغة الاسمية ليؤكد بأن ما عند الله عز وجل: ((ثبوت النعيم والرزق الواسع المستمر الدائم الذي لا يفنى ولا يزول ومنه نعيم الجنة))[٣].

- **المقابلة بين (الحَلال والحَرام):**

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦ ﴾(سورة النحل: ١١٦).

هذه صورة من صور الكفر الذي هو صفة الكفرة المميزة، والجرأة على التشريع بغير أذن من الله، وبغير نص في شريعته يساند ما يشرعونه من القوانين، وينتظرون أن يكون لهم فلاح في هذه الأرض أو عند الله!!

والخطاب الإلهي موجه إلى المشركين[٤]، فقد إفتتح بالنهي عن القول المتعلق بطرفي التقابل الإسمي، أي بقوله تعالى: (هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ) لأن المقصود: ((النهي عن جعل الحلال حراماً والحرام حلالاً لا أكل جميع الحلال وترك جميع الحرام حتى في حال الاضطرار))[٥].

واللام في قوله تعالى: (لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ) هي: ((اللام التي تعدى بها فعل القول وهي التي بمعنى (عن) الداخلة على المتحدث عنه))[٦] إذ التقدير (عما تصف ألسنتكم

(١) ينظر الفعل زمانه وأبنيته: الدكتور إبراهيم السامرائي، بغداد– ١٩٩٦م، ٣٢.

(٢) مقاييس اللغة مادة (نفذ) ٤٥٨/٥.

(٣) تفسير القرآن الكريم المسمى بالسراج المنير: الإمام الشيخ الخطيب الشربيني، ط٢، بيروت– (د.ت)، ٢٦٠/٢.

(٤) ينظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن عطية، تحقيق: الرحالي فاروق، وعبد الله بن إبراهيم الأنصاري، والسيد عبد العال السيد إبراهيم، ومحمد الشافعي، وصادق الضابي، ط١، الدوحة– ١٩٨١م، ٥٣٦/٨.

(٥) تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي، القاهرة– ١٩٧٦م، ١٥٤/١٤.

(٦) نظرية الحروف العاملة ومبناها وطبيعة استعمالها القرآني بلاغياً، هادي عطية مطر الهلالي، ط١، بيروت– ١٩٨٦م، ١٨٧.

Issn:2071-6028

الكذب)، والكذب الذي تصفه ألسنة المشركين[١] قد حقر القانون الزائف الذي هو من افترائهم والمتمثل بطرفي التقابل.

ويأتي التقابل التشريعي في جملة مقول (وَلَا تَقُولُواْ) وقد سبق كل من طرفيه اسم الإشارة (هذا) الذي في دلالته وفي تكراره إيماء إلى ((تحقير واستهجان))[٢] القانون الضال للكفرة فهم في قانونهم على غير هدى لأنهم لم يشرعوا بإذن من الله عز وجل.

والذي زاد من شناعة وزيف تشريعهم قوله تعالى: (لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ) وهو تعليل لقوله تعالى (وَلَا تَقُولُواْ) ((باعتبار كون الإفتراء حاصلاً لا باعتبار كونه مقصوداً للقائلين))[٣] ولقد قدّم الجار والمجرور (عَلَى ٱللَّهِ) على المفعول به (ٱلۡكَذِبَ) دلالة على تخصصهم بتلك الصفة السيئة، ولبيان عاقبة الذين يكذبون على الله تعالى والتي مثلتها (اللام)[٤] في قوله (لِّتَفۡتَرُواْ) فقد أكد سبحانه نفي فلاحهم بـ (إن)، إنهم لن يفوزوا ولن يظفروا بمطلبهم لا في الدنيا ولا في الآخرة[٥].

والتقابل في الآية المباركة له دلالة التشريع، فالحلال والحرام هو ما يقره الشرع الإسلامي بنص من نصوص كتاب الله العزيز لا كما يشرع المشركون بقانونهم الضال يحرمون ما أحل الله تعالى ويحللون ما قد حرمه ومنه (أكل الميتة والدم ولحم الخنزير)[٦].

- **المقابلة بين (الشِّتَاء والصَّيف) وبين (الإطعام والجوع) وبين (الأمن والخَوف):**

قال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤﴾(سورة قريش).

اجتمعت في هذه الآية الكريمة تقابلات جميعها قد اتخذت صورة التقابل اللفظي الحقيقي، والسورة الكريمة حديث إلهي عن نعم الله الجليلة على أهل مكة، حيث كان لهم رحلتان: شتاء إلى اليمن، وصيفاً إلى الشام من أجل التجارة وكسب الرزق، وقد أكرم الله تعالى قريشاً

(١) ينظر في ظلال القرآن، سيد قطب ١٠٧/١٤.
(٢) معاني النحو، الدكتور فاضل صالح، ٩٦/١.
(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣١١/١٤.
(٤) ينظر معاني الحروف في القرآن الكريم: الشريف قصار، ٩٠.
(٥) ينظر: المحرر الوجيز ٥٣٧/٨.
(٦) المصدر نفسه ٥٣٧/٨.

Issn:2071-6028

بنعمتين عظيمتين نعمة الأمن والاستقرار، ونعمة الغنى واليسار، ولذلك جاء الأمر الرباني بإخلاص العبادة في قوله (فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ)[١].

وفي السورة المباركة تقدم ما حقه التأخر لأن الأصل في نظم الكلام: لتعبد قريش رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف[٢]، وفي تقديم المتأخر (لإيلاف) تذكير بالنعم التي أسبغها الله عز وجل على أهل مكة، وكان ذلك التقديم سبباً من أسباب أمرهم بعبادة الله سبحانه التي أعرضوا عنها "بعبادة الأصنام"[٣]،

والإيلاف: اسم مشتق من ((الألف والاعتياد والتواصل))[٤] وبذلك يكون المعنى: لتؤلف قريش الرحلتين فتتصلا ولا تنقطعا[٥] ولقد كررت لفظة الإيلاف على اعتياد الرحلتين واستمرارها[٦].

ويأتي التقابل الاقتصادي ليؤمن أقوات الناس ومعيشتهم بتأمين رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام، ذلك ((ان بلد قبيلة قريش (مكة) كان ليس بذي زرع وأهله غير أصحاب صناعة فلا وسيلة عندهم للرزق والكسب إلا التجارة والرحلة في طلبهما))[٧].

ولقد أضيف لفظ (الرحلة) إلى الشتاء من قبيل إضافة الفعل إلى زمنه الذي يقع فيه[٨] وظاهر الإضافة أن رحلة الشتاء والصيف كانتا معروفتين معهودتين فعطف قوله (وَٱلصَّيْفِ) على تقديم مضاف أي (ورحلة الصيف)، لظهور أنه لا تكون رحلة واحدة تبتدئ في زمانين فتعين أنهما رحلتان في زمنين، ولأجل هذا التنظيم الرباني في تأمين الرزق، جاء الأمر الإلهي بالعبادة في قوله (فَلْيَعْبُدُواْ) وتجدر الإشارة إلى أن في تعريف (رَبَّ) بالإضافة إلى (هَٰذَا ٱلْبَيْتِ) دون أن يقال: فليعبدوا الله، إضافة تشريف وتكريم لاستحقاقه الإفراد بالعبادة دون شريك.

---

(١) ينظر المنتخب في تفسير القرآن الكريم: محمد متولي شعراوي، بيروت– ١٩٨١م، ٩٦/١.

(٢) المصدر نفسه، ٩٦/١.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن: الفضل بن الحسن الطبرسي، بيروت– (د.ت)، ٥٤٥/٣٠.

(٤) لسان العرب، ابن منظور مادة (ألف) ٨٣/١.

(٥) ينظر تفسير سور المفصل من القرآن الكريم: السيد عبد الله كشنون، ط١، المغرب– ١٩٨١م، ٤١١.

(٦) ينظر قاموس غريب القرآن حسب ترتيب السور: محمد الصادق قمحاوي، القاهرة– (د.ت)، ٢٣١.

(٧) المنتخب من تفسير القرآن الكريم ٩٦/١.

(٨) ينظر الزمن في النحو العربي: كمال إبراهيم بدري: ٢٣.

Issn:2071-6028

ويأتي تعظيم الخالق عز وجل مومئاً إليه بالأسم الموصول ((الذي))[١] فيتسق مع التقابل الإبدالي التحولي في قوله تعالى﴿ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ ولقد كان لحرف الجر أكبر الأثر في ذلك ((الإبدال))[٢] والتحويل من اللفظ إلى ضده، من الجوع إلى الإطعام ومن الخوف إلى الأمن، وهو تحول من الحالة السيئة التي يعكسها الطرف الثاني لكل من المتقابلين إلى الحالة الحسنة التي يمثلها الطرف الأول لكل منهما.

يؤيد ذلك ما جاء في تفسير الآية: ((ذلك أن حالة بلادهم تقتضي أن يكون أهلها في جوع فإطعامهم بدل من الجوع تحقق برحلتي التجارة إلى اليمن وإلى الشام، وأن حالتهم في قلة العدد وكونهم أهل حضر وليسوا أهل بأس ولا فروسية ولا شكة سلاح تقتضي أن يكونوا معرضين إلى غارات القبائل فجعل الله لهم الأمن في الحرم عوضا عن الخوف الذي تقتضيه قلتهم))[٣] قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ (سورة العنكبوت: ٦٧).

وتجدر الإشارة إلى أن التنكير في الضدين (جوع، خوف) جاء لأجل إبراز شدتهما وصعوبتهما فالجوع شديد، والخوف عظيم، ولقد حسن التقابل القرآني لأنه جاء موظفاً لبيان نعم الله سبحانه على عباده.

- **المقابلة بين (الهُدى والضَلال):**

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ ﴾(سورة القصص: ٨٥).

يتوجه النص الكريم بالخطاب إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وهو مُخرَج من بلده، مُطارَدٌ من قومه، وفي طريقه إلى المدينة التي لم يبلغها بعد، فقد كان بالجحفة قريباً من مكة، قريباً من الخطر، يتعلق قلبه وبصره ببلده الذي يحبه، والذي يعز عليه فراقه، لولا أن دعوته أعز عليه من بلده وموطن صباه، ومهد ذكرياته، ومقر أهله[٤].

---

(١) ينظر معاني النحو، فاضل السامرائي: ١٢٨/١.

(٢) الجنى الداني في حروف المعاني: الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، حلب– ١٩٧٣٢م، ٣١٦.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: أبو الثناء شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي، نشر وتصحيح: محمود شكري الآلوسي، بيروت– (د.ت)، ٥٤٥/٩.

(٤) ينظر في ظلال القرآن ١٧/٢٠.

Issn:2071-6028

وافتتح الكلام بحرف التأكيد ((إن)) للدلالة على علو شأن ما سيخبر عنه، ثم جيء بالمسند إليه (اسم موصول) دون اسمه تعالى، لما في الصلة من الإيماء إلى ((وجه بناء الخبر، المعهود المعنى، المعلوم للمخاطب))[١]، وهو رسول الله عليه الصلاة والسلام، أي ((انت الذي أعطاك القرآن وما كان إلا مقدراً نصرك وكرامتك))[٢]، لأن إعطاء القرآن شيء لا نظير له فهو دليل على كمال عناية الله بالمعُطى[٣]. وفي ذلك إيماء إلى تعظيم شأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأما قوله تعالى: (فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ) فلقد تضمن (فَرَضَ) معنى ((أنزل))[٤]لأن فرض القرآن هو إنزاله وقد عدي الفعل بالحرف (على).

ويستمر الخطاب الموجه إلى الرسول الكريم بقوله تعالى: (لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ) والرد هو ((إرجاع الشيء إلى حاله أو مكانه))[٥]، و ((المعاد: اسم مكان العود))[٦]، فالمقصود من المعاد معناه المشهود القريب من الحقيقة، وهو ما يعود إليه المرء إن غاب عنه، فيراد به بلده الذي كان به (صلى الله عليه وسلم) وهو مكة[٧]، وقد يكون المعاد كناية عن الآخرة قال ابن عطية: ((وقد اشتهر يوم القيامة بالمعاد لأنه معاد الكل))[٨] والمعنى: أبشر يا رسول الله بما تلقى في معادك من الكرامة التي لا تعادلها كرامة ولا تعطى لأحد غيرك[٩]، والتنكير في (مَعَادٍ) أفاد أن ذلك المعاد عظيم الشأن عالي المنزلة.

ثم يأتي التقابل الإيماني ليفصل بين من يمثل مع جماعته المسلمة فريقاً للإيمان ومنه ما هو في جانب الكفر والضلال المشار إليه بـ (الهدى، ضلال).

---

(١) معاني النحو ١٣١/١.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل– تفسير البيضاوي: عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، بيروت– ١٩٨٨م، ١٣/٤.

(٣) ينظر تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل وبهامشه تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، بيروت– (د.ت): ٤١٤/٣.

(٤) قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ٣٥٦.

(٥) لسان العرب مادة (رد) ١١٤٩/١.

(٦) جامع الدروس العربية: مصطفى الغلاييني، ط١٢، بيروت– ١٩٧٣م، ٤٨/٣.

(٧) ينظر التحرير والتنوير ١٩٢/٢٠.

(٨) المحرر الوجيز ٣٤٨/١١.

(٩) ينظر التحرير والتنوير ١٩٢/٢٠.

Issn:2071-6028

ويأتي المتضادان المتقابلان بعد القول المحكي لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)، والملاحظ أن الطرف الأول من المقابلة قد عبّر عنه بقوله (مَن جَآءَ) للإشارة إلى أن المهتدي الأول هو رسول الله وهو الذي جاء بهدى لم يكن معروفاً من قبل، والتعريف في لفظ (الهدى) قد زاده تعظيماً وعلو شأن.

والهدى: هو اتباع دين الله في الأرض وهو أتباع للمنهج الصحيح في العمل بالأفعال التي أوصى بها الله عز وجل وأولها الإيمان به[١].

ويأتي طرف المقابلة الثاني هو الضلال الذي ((يعني العدول عن الحق))[٢]، والضالون هم المغضوب عليهم وهم المشركون لأنهم عدلوا عن الطريق المستقيم وعن اتباع دين الله بعبادة الأوثان والأصنام[٣].

وقد عبّر عن الضلال بالجملة الأسمية المقتضية ((ثباته بهم))[٤] وكأن السياق القرآني يُشعر بأن الضلال أمر قديم راسخ فيهم مع ما أفاده (حرف الظرفية) (في) من انغماسهم الكامل بالضلال وإحاطته بهم، كما أن تنكيره قد أدى إلى تحقيره وهوان شأنه، ويزداد التحقير الواضح الجلي في الضلال بقوله (مُّبِينٍ).

ويمكن توضيح ما تقدم بالرسم الاتي:

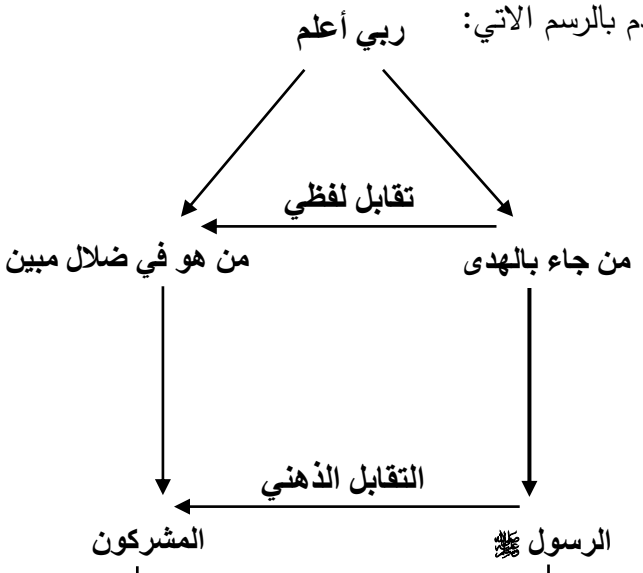

(١) ينظر تأويل مشكل القرآن: أبو محمد بن عبد الله بن قتيبة الدينوري، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط٣، بيروت– ١٩٨١م، ٤٥٧، التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم: عودة خليل أبو عودة، ط١، الأردن– ١٩٨٥م، ٣٢١.

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ٥٣٧.

(٣) ينظر الضالون كما صورهم القرآن الكريم: عبد المتعال محمد الجبري، مصر– (د.ت)، ٢٨.

(٤) الدلالة الزمنية في الجملة العربية: علي جابر المنصوري، ط١، بغداد، ١٩٨٤م، ٣٤.

Issn:2071-6028

المطلب الثاني: التقابل المجازي

التقابل بين اللفظي والمعنوي

- **المقابلة بين (السماوات والأرض) وبين (الإحياء والإماتة) وبين (الأول والآخر) وبين (الظاهر والباطن)**

قال تعالى: ﴿ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٢ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٣ ﴾(سورة الحديد: ٢-٣).

تجمع هذه الآية المباركة بنوعين مختلفين من أنماط التقابل وهما: تقابل لفظي حقيقي، وتقابل معنوي، وتبتدئ السورة المباركة بقوله تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١ ﴾(سورة الحديد: ١) وهو حديث عن عظمة الخالق جلا وعلا الذي سبح له ما في الكون من شجر وحجر، وإنسان وحيوان وجماد، فالكل ناطق بعظمته شاهد بوحدانيته.

والآيتان المباركتان تجلي العظمة الإلهية في اقتران أكبر دليل من دلائل قدرته مع صفاته الحسنى، وأسمائه العليا قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾ (سورة الأعراف: ١٨٠)، إنه الأول بلا بداية، والآخر بلا نهاية، والظاهر بآثار خلقه، والباطن الذي لا يعرف كنه حقيقته أحد، وهو الخالق للإنسان والمدبر للأكوان[١].

إن كل المتقابلات بالتضاد من التقابل اللفظي والمعنوي التي اجتمعت في النص المبارك تصرّح بكماله وبشموله وبجلاله وبقدرته الهائلة. لأنها دخلت في التقابلات الخاصة بالصفات الإلهية.

(١) ينظر روح المعاني: الآلوسي: ٣٣٨/٨.

Issn:2071-6028

يبتدئ النص الكريم بلفظ (الملك) المسبوق باللام المضافة إلى ضمير الجلالة والمؤكدة للمعنى نفسه[١]، وهي استئناف ابتدائي بذكر صفته تعالى العظيمة التي متعلقها أحوال الكائنات في السماوات والأرض وخاصة أهل الإدراك منهم[٢].

إن مضمون جملة (لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ) يؤذن بتعليل تسبيح الله تعالى في "الآية السابقة" لأن من له ملك العوالم العليا في السموات– وهي الطرف الأول في التقابل– والعالم الدنيوي في الأرض وهي الطرف الثاني، حقيق بأن يعرف الناس صفات كماله[٣].

إن الملاحظ في معظم آيات القرآن الكريم التي تتضمن هذا التقابل الكوني تقديم لفظ السموات على الأرض، ولعل السبب في ذلك، يرجع إلى كونها من الدلائل المذهلة على عظيم الصنعة الخالقية ((لسعتها وعظمها وما فيها من الكواكب، وشمسها وقمرها، وبروجها وعلوها، واستغنائها عن عمد تقلها، أو علاقة ترفعها إلى غير ذلك من عجائبها، التي الأرض وما فيها كقطرة في سعتها، ولهذا أمر سبحانه أن يرجع الناظر البصر فيها كرة بعد كرة، ويتأمل استواءها واتساقها، وبراءتها من الخلل والفطور، فالآية فيها أعظم من الأرض))[٤].

إن السموات والأرض لا تشكل تقابلاً لفظياً مباشراً لأن العلاقة بينهما علاقة تنافر وإنما يكمن التضاد بما يفرزانه من مفردات معنوية لكل من الطرفين يتمثل بـ (فوق وتحت) أو (أسفل وأعلى) ويتوالى التقابل الذي وظّف في الآيتين الكريمتين لبيان الصفات الإلهية التي في ضديها تعكس الكمال والتي ثبتت آثارها من دلائل القدرة أرضاً وسماءً.

ويأتي التقابل الثاني– اللفظي– في قوله تعالى: (يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ) والملاحظ في متضاديه أنهما قد وردا بالصيغة الفعلية المضارعة التي يقترن ((حدوثها بالحال أو الاستقبال))[٥] إلا أن تلك الصيغة قد دخلها الشمول الزمني المطلق، لأن عملية الإحياء والإماتة متواصلة متغايرة، ((لأنه سبحانه المالك لهاتين الصفتين على سبيل الاختيار والتجدد والاستمرار، وهو القادر على

(١) ينظر معاني الحروف في القرآن الكريم: الشريف قصار: ٨٥.

(٢) ينظر درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز: الخطيب الإسكافي، برواية أبي الفرج الاردستاني، ط١، بيروت– ١٩٧٣م، ٤٧١.

(٣) ينظر التحرير والتنوير: ابن عاشور: ٣٥٨/٢٧.

(٤) ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن: عبد الفتاح لاشين، ط١، بيروت– ١٩٨٢م، ١٠٩.

(٥) الفعل زمانه وأبنيته: إبراهيم السامرائي: ٣٢.

Issn:2071-6028

البعث بدليل ما ثبت له من صفة الإحياء، إذ إنه جل وعلا الموجد من العدم وأنه سبحانه يميت الأحياء في الدنيا ويحيى الأموات في الآخرة))[١].

إن قوله تعالى (يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ) بدل اشتمال من مضمون (لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ) لأن الأحياء والإماتة مما ((يشتمل عليه))[٢]، معنى السموات والأرض لأنهما من أحوال ما عليهما[٣] وتخصيص هذين بالذكر للاهتمام بهما لدلالتهما على دقيق الحكمة في التصرف في السماء والأرض، ولظهور أن هذين المتضادين لا يستطيع الإنسان إدعاء أنه له عملٌ فيهما، وللتذكير بدليل إمكان البعث الذي جحده المشركون[٤] وللتعريض بإبطال زعمهم عبودية أصنامهم كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ٣﴾(سورة الفرقان: ٣) ثم يتم الآية الكريمة ((بشمول))[٥] قدرته في التصرف بخلقه (وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ).

وبعد الضمير المعبر عن اسم الجلالة يستأنف التقابل الأسمي في قوله تعالى: (هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ).

إن مجيء المتضادات بالصفات الأسمية ((يثبت))[٦] إنفراده عز وجل بها، وقد يطرح سؤال نفسه كيف تجتمع الأضداد فيه عز وجل، ولكن يجاب عن السؤال بتفسير كل صفة من صفاته تعالى فالأول يعني أنه ((السابق وجوده على كل وجود وجد أو سيوجد))[٧].

إن هذه الصفات الإلهية قد ارتبطت ببعضها بوساطة الواو العاطفة التي تقتضي عطف كل صفة على المضادة لها وفي ذلك إشارة أخرى إلى الكمال الإلهي.

وتذيل الآيتان الكريمتان بقوله تعالى (وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ) وفيه عطف صفة علمه على صفات ذاته عز وجل وفي ذلك ما يرمز إلى الإحاطة الربانية.

---

(١) المنتخب من تفسير القرآن الكريم: محمد متولي شعراوي: ٢٨/١.

(٢) جامع الدروس العربية: الغلاييني: ٢٣٧/٣.

(٣) ينظر تفسير روح البيان: إسماعيل حقي البروستوي، بيروت – (د.ت)، ٣٤٦/٩.

(٤) ينظر التحرير والتنوير ٣٦٠/٢٧.

(٥) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري المصري، حققه وفصله وضبط غرائبه: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة– (د.ت)، ١٩٣/١.

(٦) الدلالة الزمنية في الجملة العربية: علي جابر المنصوري: ٥١.

(٧) معجم مفردات ألفاظ القرآن: الأصفهاني: ٢٧.

Issn:2071-6028

ويمكن توضيح ما تقدم من التقابل القرآني في بعض متضاداته على الشكل الاتي:

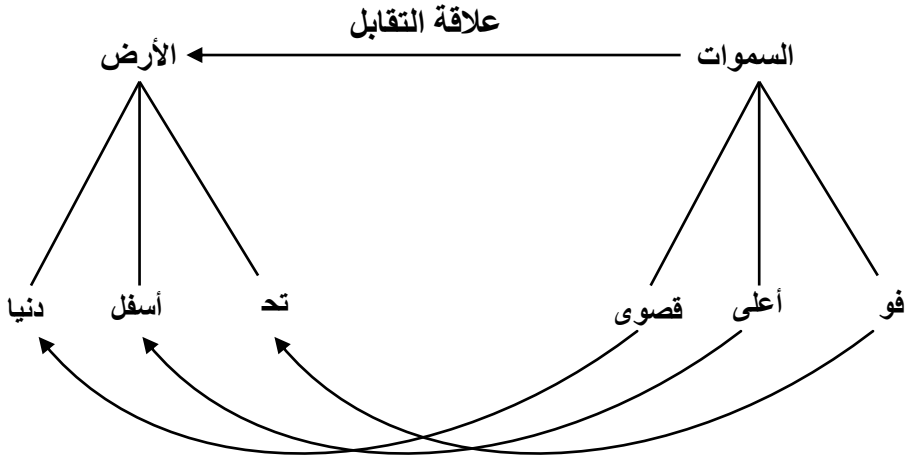

التقابل اللفظي على المستوى الذهني

التقابل الخاص بالصفتين الآلهيتين:

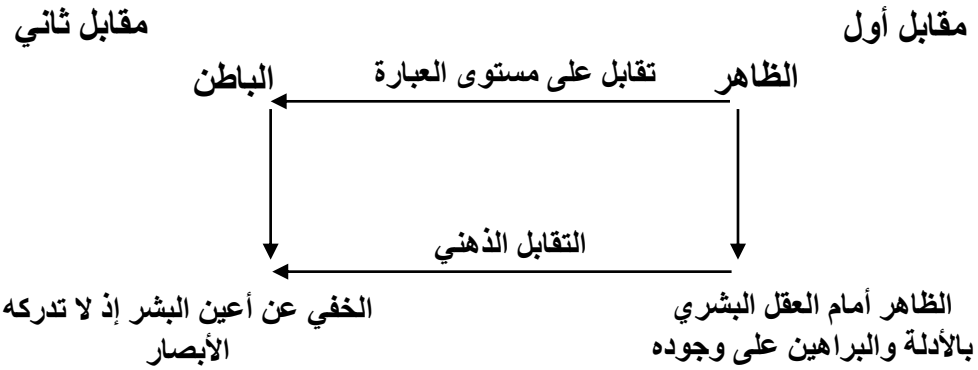

- **المقابلة بين (السماوات والأرض) وبين (طوعاً وكرهاً) وبين (الغدو والآصال):**

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿١٥﴾ ﴾ (سورة الرعد: ١٥).

مما يلاحظ في هذه الآية الكريمة أنها قد جمعت بين التقابل اللفظي والمعنوي، ويعد النص الكريم اعترافاً فعلياً بالعبودية لله تعالى ((وهي موضع سجدة من سجود القرآن، إذ إنها السجدة الثانية في ترتيب المصحف باتفاق الفقهاء))[1]، ومن حكمة السجود عند قراءتها أن يضع المسلم نفسه في عداد ما يسجد لله طوعاً بإيقاعه السجود الذي هو أقصى رمز للعبودية.

(١) التحرير والتنوير ١١٢/١٣.

Issn:2071-6028

تبتدئ الآية الكريمة بالعطف الذي أفاد ((الجمع المطلق))[١] فقد عطفت الآية على سابقتها ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ ﴾ (سورة الرعد: ١٤) والتقدير الناتج عن عطف الآيتين (له دعوة الحق وله يسجد من في السموات والأرض) وهذا شعار الإلوهية.

وتومئ اللام في قوله (وَلِلَّهِ) إلى صفة الخالق الجلالية المتمثلة ((بملك))[٢] كل ما قد خلقه سبحانه والأصل فيها التذلل لله وعبادته وهو عام في الإنسان والحيوان والجماد وهذا المعنى يتألف مع دلالة السجود الذي هو أدق رمز للعبودية لله جل وعلا، والسجود ((ضربان سجود باختيار وليس ذلك إلا للإنسان وبه يستحق الثواب، وسجود تسخير وهو للإنسان والحيوان والنبات))[٣] وهو السجود المقصود في الآية المباركة[٤].

وتأتي الثنائيات المتضادة لتؤدي دورها في العبودية لله تعالى وقد أومئ إليها بالإعجاز الكوني المتمثل بـ (ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ) والبعد الشعوري (طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا) والشمول الزمني (بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ).

إن مجيء الثنائيات المتضادة بالصيغة الأسمية، يشير إلى ثبوت حقيقة سجودها وهي الإيمان بالله تعالى أولى الحقائق التي اتجه القرآن الكريم إلى تأكيدها والغاية من ذلك إخراج الناس من ظلمات الضلال إلى نور الهداية.

إن سجود من في السموات والأرض يعني ضمناً سجود الكون كله لله تعالى وفي قوله (طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا) يأتي المتضادان لتأكيد حقيقة جوهرية تكمن في أن العبادة لله والتذلل والخضوع له سبحانه يكون في الاضطرار المتمثل بقوله (وَكَرۡهٗا) وفي الاختيار أي عدم الاضطرار المتمثل بقوله (طَوۡعٗا) ولذلك فإن التقابل الشعوري كان جامعاً لأحوال الساجدين وهذا هو المستفاد من تفسير اللفظتين المتضادتين ((المراد بالطوع الانقياد والإنسياق عن النفس تقرباً وزلفى لمحض التعظيم ومحبة الله))[٥]، أما المراد من الكره الاضطرار عند الشدة والحاجة[٦]، وليس المراد من

(١) معاني الحروف في القرآن الكريم، الشريف قصار ١٢٣.
(٢) رصف المباني في شرح حروف المعاني: المالقي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دمشق– ١٩٧٥م، ٢١٨.
(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن ٢٢٩.
(٤) ينظر تأملات في سورة الرعد: حسن محمد باجودة، القاهرة– ١٩٧٨م، ٨٣.
(٥) التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب: فخر الدين محمد بن عمر الرازي، لبنان– ١٩٨٥م، ٣٠/١٩.
(٦) ينظر تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي، وقف على طبعه وتصحيحه، ورقمه وخرج آياته وأحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، القاهرة– ١٩٥٧م، ٣٦٦٤/٩.

Issn:2071-6028

الكره ((الضغط والإلجاء))[١] و ((المشقة))[٢]، وفي ذلك خروج عن المعنى المعجمي للفظ إلى جوهر دلالته[٣]، الذي يفرضه السياق القرآني في الآية المباركة.

ويشير سبحانه إلى الصورة الجمالية للعبادة بقوله (وَظِلَٰلُهُم) والظل ((هو صورة الجسم المنعكس إليه نور))[٤] وفي ذلك ما يشير إلى الشمول والتكامل في عبادة الله سبحانه إذ لا يسجد من في السموات والأرض فقط وإنما تسجد ظلالهم وفي ذلك إيماء إلى أدق معاني الإخلاص والعبودية والخضوع للخالق سبحانه.

وتكتمل تلك الصورة الجلالية بالمتضادين المشيرين إلى الاستيعاب الزمني لكل الأوقات التي تؤدى فيها العبادة لله عز وجل في قوله (بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ)، يؤيد تلك الدلالة حرف (الباء) الذي له خصوصية التضمين في الاستعمال، فقد تضمن معنى ((الظرفية الذي يؤديه الحرف في))[٥] والتقدير (في الغدو والآصال)، والغدو: جمع غدوة وه وقت صلاة الفجر، الزمان الذي يغدو فيه الناس، أي يخرجون إلى حوائجهم[٦]، وفي ذلك إيماء إلى المرادف المعنوي للمتضاد وهو أول النهار، أما الآصال فهي جمع أصيل، وهي ((أوقات صلوات الظهر، والعصر والعشائين لأن الأصيل يجمعها ويشملها))[٧] وفي ذلك إشارة إلى مرادف المتضاد الثاني وهو آخر النهار.

ويتضح ذلك كما في الرسم الاتي:

(١) التحرير والتنوير ١١١/١٣.

(٢) لسان العرب مادة (كره) ٢٥٠/٣.

(٣) ينظر اللغة والمعنى والسياق: جون لاينز، ترجمة: الدكتور عباس صادق الوهاب، مراجعة: الدكتور يوئيل يوسف عزيز، ط١، بغداد–١٩٨٧م، ٨٣.

(٤) التفسير العلمي للآيات الكونية: حنفي أحمد، مصر– (د.ت)، ٢٠٨.

(٥) نظرية الحروف العاملة ومبناها وطبيعة استعمالها القرآني بلاغياً: هادي عطية مطر: ١٨٥.

(٦) ينظر تنوير الأذهان من تفسير الشيخ إسماعيل حقي البروسوي، روح البيان، اختصار وتحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني، بغداد– ١٩٩٠م، ٦٣/٣.

(٧) المصدر نفسه، ٦٣/٣.

Issn:2071-6028

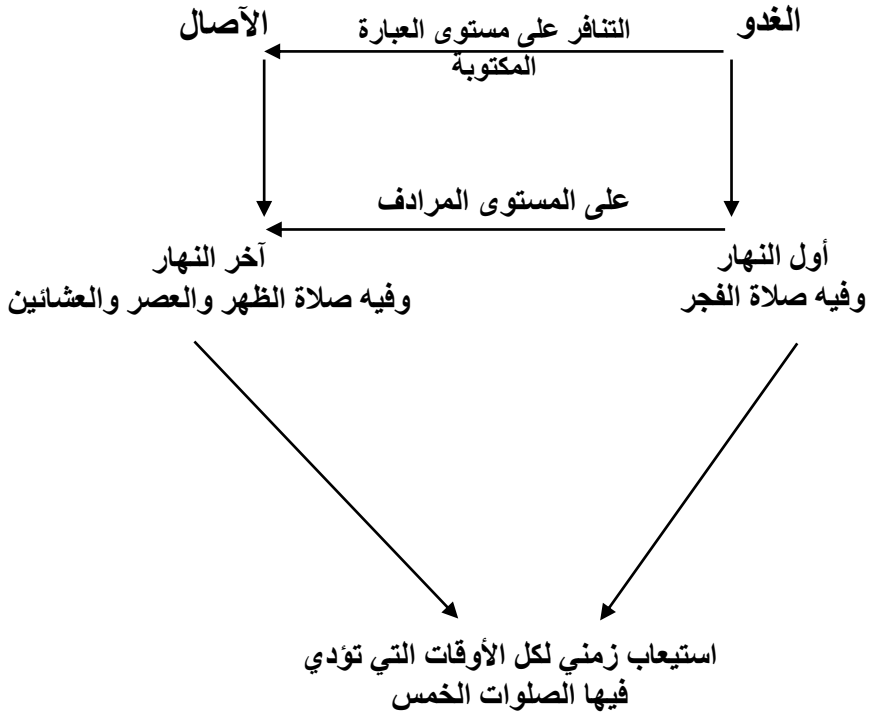

- **المقابلة بين (الإيمان والشرك) وبين (الفقر والغنى):**

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٨ ﴾(سورة التوبة: ٢٨).

يفصح القول الإلهي عن شريعة الاسلام في معاملة المشركين، فالمشركون نجس ((والتعبير القرآني جاء ليجسم نجاسة أرواحهم فيجعلها ماهيتهم وكيانهم، فهم بكليتهم وبحقيقتهم نجس، يستقذره الحس، ويتطهر منه المتطهرون، ولنجاستهم فقد منعوا عن الحج وعن بيت الله الحرام))[١] ذلك هو مصير الظالمين.

وبالنداء يخاطب المؤمنون وهم الطرف الأول في التقابل العقدي، ولعل في النداء إيحاء باستجلال أذهانهم لإخبارهم بحقيقة المشركين المشار إليهم بطرف التقابل الثاني، فالتقابل القرآني إنشائي في الطرف الأول، ويأتي في طرفه الثاني ليثبت صفة النجاسة للمشركين، وقد ((أثبتها بـ (إنما)))[٢] وبأسلوب القصر الذي أفاد تخصص المشركين بالنجاسة وهو قصر موصوف على

(١) في ظلال القرآن ١٠/١٦٧.

(٢) معاني الحروف في القرآن الكريم، الشريف قصار ٣٧.

Issn:2071-6028

صفة، وقد ((أنيط وصف النجاسة بهم بصفة الإشراك، فعلمنا أنها نجاسة معنوية نفسانية وقد تكون نجاسة ذاتية))[١].

والنجاسة المعنوية هي اعتبار صاحب وصف من الأوصاف محقراً متجنباً من الناس فلا يكون أهلاً لفضل ما دام متلبساً بالصفة التي جعلته كذلك، فالمشرك نجس لأجل عقيدة إشراكه[٢] وقد يكون جسده نظيفاً مطيباً لا يستقذر[٣] وقد يكون مع ذلك ((مستقذر الجسد ملطخاً بالنجاسات لأن دينه لا يطلب منه التطهر))[٤]، والمقصود من هذا الوصف للمشركين تحقيرهم وإبعادهم عن مجامع الخير.

ويتوالى ذلك التحقير والتقليل من شأن الكفرة بالنهي عن الاقتراب من المسجد الحرام، إذ ((قد فرع على نجاساتهم بالشرك))[٥] المنع من دخول المسجد الحرام[٦] بقوله (فَلَا يَقْرَبُوا۟) ومن ثم ((المنع من حضور موسم الحج بعد عامهم هذا))[٧] وفي ذلك إشارة إلى العام الذي نزلت فيه الآية الكريمة وهو العام التاسع من الهجرة، فقد حضر المشركون موسم الحج وأعلن عليهم فيه أن لا يعودوا إلى الحج بعد عامهم هذا[٨]، ولقد أضيف (العام) إلى ضمير الغائب العائد على المشركين للمزيد من تحقيرهم ولمزيد اختصاصهم بحكم هائل وهو المنع، ووصف العام باسم الإشارة جاء ((لزيادة تمييزه وبيانه))[٩]، والمقصود من النهي عن إقترابهم من المسجد الحرام النهي عن حضورهم الحج لأن مناسك الحج كلها تتقدمها زيارة المسجد الحرام وتعقبها كذلك[١٠].

وبعد أداة الشرط (إنْ) وفعلها (خِفْتُمْ) يأتي التقابل القرآني الإبدالي، إذ إن الله عز وجل بقدرته الجليلة أبدل الفقر الذي يخشاه المؤمنون غنى، وهذا ما يستشف من تفسير قوله تعالى (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ) كما أن التقابل معاشي في القول الكريم، وقوله

---

(١) التحرير والتنوير ١٥٩/١٠.

(٢) ينظر تفسير المنار: محمد رشيد رضا، بيروت– (د.ت)، ٢٧٢/١٠.

(٣) ينظر تفسير غريب القرآن: ابن قتيبة: ١٨٤.

(٤) المفردات في غريب القرآن ٤٨٣.

(٥) التحرير والتنوير ١٦٠/١٠.

(٦) ينظر: قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ٣٧٦.

(٧) فتح القدير: الشوكاني: ٣٤٩/٢.

(٨) ينظر الكشاف ١٦١/٢.

(٩) معاني النحوة ٩٥/١.

(١٠) ينظر التحرير والتنوير ١٦١/١٠.

Issn:2071-6028

(خِفْتُمْ) جاء بمعنى ((علمتم))[١]، والعيلة: ((الاحتياج والفقر))[٢] فيكون المعنى ((إن خطر في نفوسكم إنكم ستصيبكم العيلة والفقر من انقطاع الإمداد عنكم بمنع قبائل كثيرة من الحج فإن الله سيغنيكم عن ذلك))[٣].

وبذلك يتضح الطرف الثاني للتقابل في قوله تعالى (فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ) ولقد كان لأداة الاستقبال الداخلة على الفعل المضارع دور في تحقق التقابل الإبدالي المستقبلي، ذلك أنها في دلالتها تعني أن الغنى سيتم في الحال أو في المستقبل وهو خاص بالمؤمنين.

وفعلا فقد أغناهم الله عز وجل بأن هدى للإسلام أهل تبالة وجرش من بلاد اليمن، فأسلموا عقب ذلك، وكانت بلادهم بلاد خصب وزرع فحملوا إلى مكة الطعام والميرة، وأسلم أيضاً أهل جدة وبلدهم مرفأ ترد إليه الأقوات من مصر وغيرها، فحملوا الطعام إلى مكة، وأسلم أهل صنعاء من اليمن، وبلدهم تأتيه السفن من أقاليم كثيرة من الهند وغيرها[٤].

ويسند الطرف الثاني من التقابل بقوله تعالى: (مِن فَضْلِهِۦٓ) أي أن كل الذي ذكر بعض من نعمه عز وجل، ((وفضل الله رزقه المتأتي بشتى الطرق))[٥]، بإسلام القبائل تارة وبإنزال ماء السماء المنبت للأرض تارة أخرى وبذلك يعم الخير وتزداد النعم[٦]، وجاء قوله تعالى (إِن شَآءَ) ((ليفتح للمؤمنين باب الرجاء مع التضرع إلى الله في تحقيق وعده لأنه سبحانه يفعل ما يشاء))[٧].

وذيل النص الكريم بقوله (إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) فإنه تعليل مؤكد بـ (إن) لقوله تعالى (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً) أي ((إن الله يغنيكم لأنه يعلم من ما لكم من المنافع من وفادة

(١) كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر: ابن العماد، تحقيق ودراسة: الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد، تقديم ومراجعة، الدكتور محمد سليمان داود، الإسكندرية– (د.ت)، ١٠٨.

(٢) لسان العرب مادة (عيل) ٩٤٤/٢.

(٣) معترك الأقران في إعجاز القرآن: جلال الدين السيوطي، تحقيق: أحمد شمس الدين، ط١، بيروت– ١٩٨٨م، ٦٣٦/٢.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ١٦١/١٠.

(٥) معجم مفردات ألفاظ القرآن ٣٩٦.

(٦) ينظر: تفسير المنار ٢٧٩/١٠.

(٧) التحرير والتنوير ١٦٢/١٠.

Issn:2071-6028

القبائل، فلما منعكم من تمكينهم من الحج لم يكن تاركاً منفعتكم فقدر غناكم عنهم بوسائل أخرى علمها وأحكم تدبيرها))[1].

هكذا كان التقابل القرآني يفرز الدلالة الدينية في تغليبه فريق الإيمان ونصرته والتحقير من شأن الكفار والتهوين من قدرهم. وهذه هي قضية العقيدة الإ'سلامية الكبرى، ثم جاء التقابل الثاني ليفصح عن الدلالة الاقتصادية في تأمين معيشة المؤمنين ورزقهم ذلك أن الرزاق هو الخالق عز وجل فحسب التقابل لتأديته تلك المعاني السامية.

الخاتمة ونتائج البحث

بعد هذه الجولة الممتعة مع دراسة نافعة والتعرف على علم يسير من علوم الكتاب العزيز التي لا يحصيها العد ولا يحيط بها الفهم، إذ وفقني الله تعالى أن أهتم بما جعله علماؤنا الأجلاء قديماً وحديثاً أسَّ تفكيرهم الحضاري المبني على قاعدة الفهم لكتاب الله تعالى فكان موضوع (التقابل اللفظي في القرآن الكريم– دراسة دلالية) بينت في المقدمة أن الطبيعة الحقيقية للغة لا تفهم إلا من خلال فهم المعنى، وكانت الدلالة ركيزة عمل أهل اللغة، وعقدوا لها أبواباً في كتبهم تناولت موضوعات مثل: دلالة اللفظ، ودلالة المنطوق، ودلالة المفهوم، كما قسموا اللفظ بحسب الظهور والخفاء، والعموم والخصوص، والتخصيص والتقييد، ودرسوا الترادف والاشتراك والتقابل وغير ذلك.

وجاء التمهيد مدخلاً لفهم التقابل في النص القرآني يقع بين معانيه، كما يقع بين ألفاظه، وهو بين الألفاظ يزيدها لذة وإثارة، وبين المعاني يزيدها قوة ووضوحاً، كما يضفي عليها روعة وجمالاً. وجاء البحث في مبحث ومطلبين، ذكرت في المبحث بلاغة التقابل اللفظي وجماليته في القرآن الكريم من ذلك: بلاغة المقابلة اللفظية فقد نادى التقابل اللفظي في القرآن الكريم بالتوازن الذي يستقيم معه السلوك الإنساني، ودعا إلى طرح المعطيات الخلقية. وأن ذلك يمثل نقطة التحول من المشكلة إلى الحل.

ويجد القارئ الكريم في المطلب الأول، التقابل اللفظي الحقيقي، كما جاء في المقابلة بين الحق والباطل وبين الفناء والبقاء، وبين الحلال والحرام، وبين الشتاء والصيف، وبين الهدى والضلال. وكان المطلب الثاني مبيناً للتقابل المجازي مثل التقابل بين اللفظي والمعنوي، وغير ذلك من صور هذا التقابل. وفي الختام أرجو الله تعالى أن أكون قد وفقت إلى نتائج نافعة منها:

١– أن المشاهد المتقابلة في الصور القرآنية قد تختلف طولاً وقصراً، وقد تتساوى فيما بينها، فكانت هذه المقابلات تبين مثول الحسن إزاء القبيح أو القبيح إزاء الحسن مما يزيد غبطة

(١) التحرير والتنوير ١٠/١٦٢.

Issn:2071-6028

بالواحد وتخلياً عن الآخر لتبين حال الضد بالمثول إزاء ضده؛ فلذلك كان موقع المعاني المتقابلات من النفس عجيباً.

٢- إن القيمة الفنية للمقابلة تكمن فيما يحدثه التضاد من أثر متميز في الدلالة في مجالات شتى في الترغيب والترهيب وغيرها، وهي كلها انعكاسات معان تتمحور في محوري القرآن الكريم الأساسيين: الإيمان والكفر.

٣- إن التقابل القرآني يفرز الدلالة الدينية في تغليبه فريق الإيمان ونصرته، والتحقير من شأن الكفار والتهوين من قدرهم، وهذه هي قضية العقيدة الإسلامية الكبرى.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، دار العروبة، الكويت، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٣- دراسة المعنى عند الأصوليين، د. طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية، ١٩٨٣م.

٤- البحث الدلالي عند الأصوليين، د. محمد يوسف مخلص، عالم الكتب، ١٩٩١م.

٥- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ١٩٨١م.

٦- التناسب البياني في القرآن، أبو زيد أحمد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٢م.

٧- التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٨- على طريق التفسير البياني، د. فاضل صالح السامرائي، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٩- الوساطة بين المتنبي وخصومه: القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، القاهرة، د.ت.

١٠- البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب ود. كامل حسن البصير، بغداد ١٩٨٢م.

١١- البلاغة العربية تأصيل وتجديد، مصطفى الصاوي الجويني، الإسكندرية ١٩٨٥م.

١٢- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، القاهرة، ١٩٦٦م.

١٣- السمات الجمالية في القرآن الكريم من وجهة نظر فنان تشكيلي، رسالة ماجستير قدمها قيس إبراهيم مصطفى العكيلي، بإشراف د. محسن عبد الحميد أحمد و أ. أحمد فؤاد العزاوي، كلية الفنون الجميلة- جامعة بغداد، ١٤١٩٨هـ- ١٩٩٨م.

Issn:2071-6028

١٤- القرآن الكريم واستمرارية وإعجازه، محمد علي أبو حمدة، المجلة الثقافية العدد ٩، ١٩٨٥.
١٥- البديع تأصيل وتجديد، د. منير سلطان، الإسكندرية، ١٩٧٦م.
١٦- أدب الترهيب في القرآن الكريم، أحمد محمد علم الدين، مجلة آفاق الثقافة والتراث عدد ٢٠-٢١، ١٩٩٨م.
١٧- جماليات ؟؟؟ القرآنية، أحمد ياسوف، دمشق ١٩٩٤م.
١٨- في ظلال القرآن، سيد قطب، ط٦، بيروت ١٩٧٨.
١٩- تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، أشرف على تصحيحه: علي شيري، بيروت ١٩٣٥م.
٢٠- معجم مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: نديم مرعشلي، القاهرة، ١٩٧٢م.
٢١- معاني الحروف في القرآن الكريم، الشريف قصار، الجزائر ١٩٨٤م.
٢٢- مواهب الرحمن في تفسير القرآن، عبد الكريم محمد المدرس، بغداد ١٩٩٢م.
٢٣- المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سعيد كيلاني، بيروت (د.ت).
٢٤- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، بيروت ١٩٧٩م.
٢٥- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
٢٦- تفسير مجاهد، ابن جبر التابعي المكي المخزومي، قدم له وحققه وعلق على حواشيه: عبد الرحمن الظاهر بن محمد السورتي، الدوحة (د.ت).
٢٧- جامع البيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، وبهامشه تفسير غرائب القرآن وغائب الفرقان للنيسابوري، ط٢، بيروت ١٩٧٢م.
٢٨- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري، القاهرة (د.ت).
٢٩- معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، ط١، بغداد (د.ت).
٣٠- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، ١٩٨١م.

Issn:2071-6028

٣١- صفوة البيان لمعاني القرآن، حسنين محمد مخلوف، بغداد، ١٩٨١م.
٣٢- الفعل زمانه وأبنيته، د. إبراهيم السامرائي، بغداد ١٩٩٦م.
٣٣- تفسير القرآن الكريم المسمى بالسراج المنير، الإمام الشيخ الخطيب الشربيني، ط٢، بيروت (د.ت).
٣٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية، (د.ت) تحقيق: الرحالي فاروق، وعبد الله بن إبراهيم الأنصاري والسيد عبد العال السيد إبراهيم، ومحمد الشافعي، وصادق العناني، ط١، الدوحة ١٩٨١م.
٣٥- تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، القاهرة، ١٩٧٦م.
٣٦- نظرية الحروف العاملة ومبناها وطبيعة استعمالها القرآني بلاغياً، هادي عطية مطر الهلالي ط١/ بيروت ١٩٨٦م.
٣٧- المنتخب في تفسير القرآن الكريم، محمد متولي شعراوي، بيروت، ١٩٨١م.
٣٨- مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، بيروت (د.ت).
٣٩- تفسير سور المفصل من القرآن الكريم، السيد عبد الله كشنون، ط١، المغرب ١٩٨١م.
٤٠- قاموس غريب القرآن حسب ترتيب السور، محمد الصادق قمحاوي، القاهرة (د.ت).
٤١- الزمن في النحو العربي، كمال إبراهيم بدري.
٤٢- الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: د. فخر الدين قيادة، ومحمد نديم فاضل، حلب ١٩٧٣م.
٤٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الثناء شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي، نشر وتصحيح: محمود شكري الآلوسي، بيروت (د.ت).
٤٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل- تفسير البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، بيروت ١٩٨٨م.
٤٥- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل وبهامشه تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، بيروت (د.ت).
٤٦- قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم.
٤٧- جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، ط١٢، بيروت ١٩٧٣م.
٤٨- تأويل مشكل القرآن، أبو محمد بن عبد الله بن قتيبة الدينوري: تحقيق السيد أحمد صقر، ط٣، بيروت ١٩٨١م.

Issn:2071-6028

٤٩- التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم، عودة خليل أبو عودة، ط١، الأردن ١٩٨٥م.
٥٠- الضالون كما صورهم القرآن الكريم، عبد المتعال محمد الجبري، مصر (د.ت).
٥١- الدلالة الزمنية في الجملة العربية، علي جابر المنصوري، ط١، بغدادج ١٩٨٤م.
٥٢- درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، الخطيب الإسكافي، برواية أبي الفرج الاردستاني، ط١، بيروت، ١٩٧٣.
٥٣- ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن، عبد الفتاح لاشين، ط١، بيروت ١٩٨٢م.
٥٤- تفسير روح البيان، إسماعيل حقيق البروسوي، اختصار وتحقيق الشيخ محمد علي الصابوني، بغداد، ١٩٩٠م.
٥٥- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري المصري، حققه وفصله وضبط غرائبه: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة (د.ت).
٥٦- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله الزمخشري بيروت ١٩٤٧م.
٥٧- رصف المباني في شرح حروف المعاني، المالقي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دمشق، ١٩٧٥م.
٥٨- تأملات في سورة الرعد، حسن محمد باجودة، القاهرة، ١٩٧٨م.
٥٩- التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، لبنان، ١٩٨٥م.
٦٠- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، وقف على طبعه وتصحيحه، ورتب وخرج آياته وأحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، ١٩٥٧م.
٦١- اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة: د. عباس صادق الوهاب، مراجعة: د. يوئيل عزيز، ط١، بغداد ١٩٨٧م.
٦٢- التفسير العالمي للآيات الكونية، حنفي أحمد، مصر (د.ت).
٦٣- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، بيروت (د.ت).
٦٤- كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر، ابن العماد، تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، تقديم ومراجعة: محمد سليمان داود، الإسكندرية (د.ت).

Issn:2071-6028

٦٥- معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: أحمد شمس الدين، ط١، بيروت، ١٩٨٨م.

Issn:2071-6028